



عزيرع

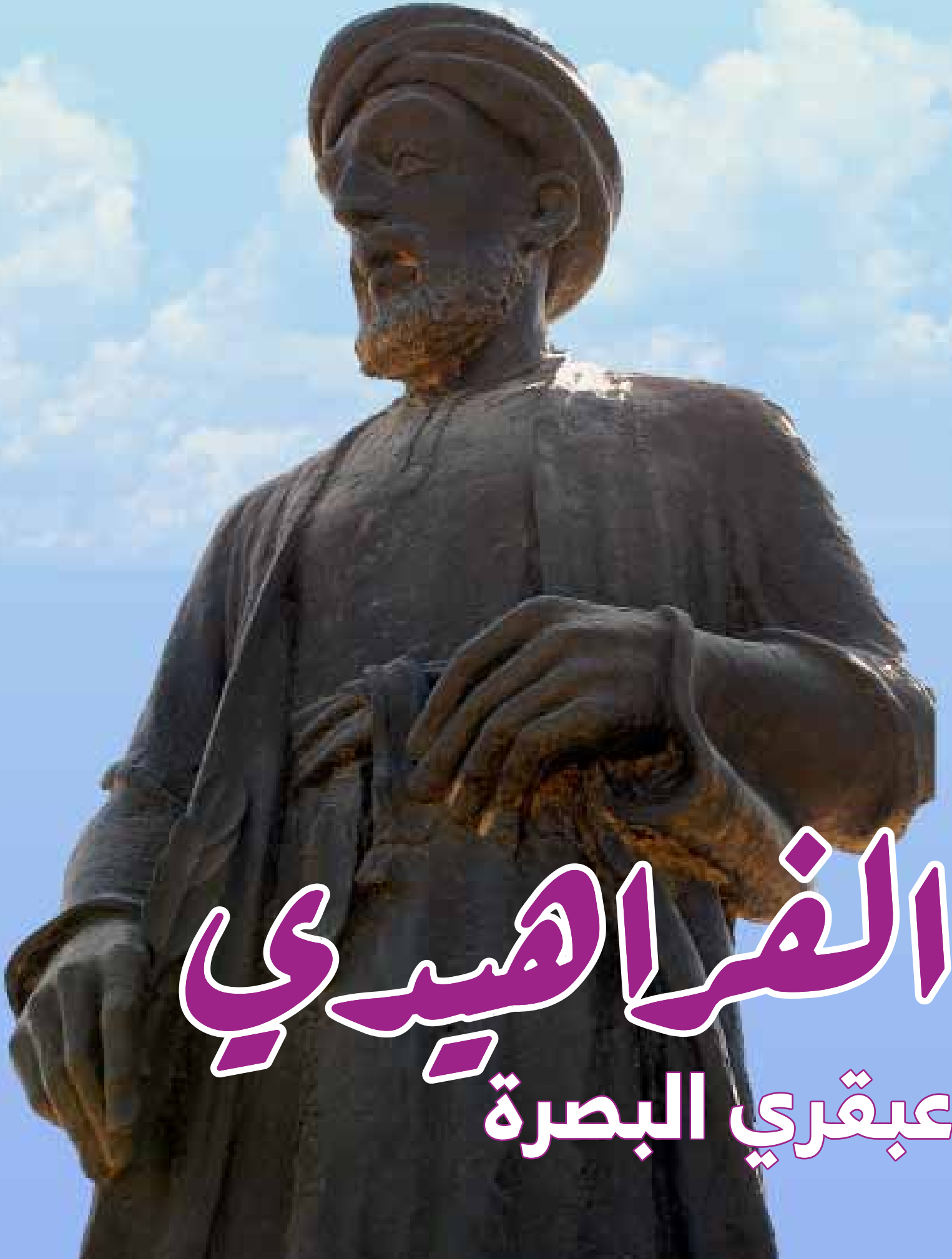
رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

[www.almadasupplements.com](http://www.almadasupplements.com)

العدد (5046) السنة التاسعة عشرة - الاربعاء (20) تشرين الأول 2021

منارات  
m a n a r a t

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة للإعلام والثقافة والفنون



# الفراهيبي

## عبقري البصرة



إذا افتخرت الأمم بالأفذاذ من رجالها الذين رفعوا مشعل العلم عالياً فأناروا للعقول مناهجها، وضاعفوا لذاتها ومباهجها؛ حق للعرب أن يكونوا المجليين في هذه الحلبة؛ ولهم من تأريخ المعارف الإنسانية شواهد خوالد تسطع أنوارها وتتجدد على الزمن آثارها. فتأريخ النتائج العقلي يفيض بما للعقل العربي من خصب في الإنتاج، وبراعة في الاختراع، ودقة في الإبداع، وسعة في التحقيق، وإنعام في التدقيق مع صدق في القول وأمانة متناهية في النقل.



# الخليل بن أحمد عبقرى البصرة

## طه الراوي

عالم عراقي راحل

ومن بين أولئك الأفذاذ الذين أقاموا للعلم مناره ورفعوا لواءه في سماء الرافدين الخليل بن أحمد البصري. وقد رأيت أن أترجم له بمقال مسهب أرسل به إلى مجلة الرسالة الغراء؛ وبعد أن تم المقال رأيت من الأصلح اختصاره رغبة في دفع الملل عن القارئ لأنني أعلم أن الكثير من قراء المجلات في هذه الأيام العصبية يرغبون عن المطولات ويميلون المسهبات

نسب الخليل

من أشهر قبائل اليمن قبيلة الأزدي التي منها غسان، والأوس والخزرج اللتان عرفتا بعد الإسلام بالأنصار؛ ومن بطون هذه القبيلة الفراهيدي، وكان الكثير من أفاضها يقطن عمان والحصرة. وقد أنجبت عددا كبيرا من المشاهير كان في الطليعة منهم المترجم وهو: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم البصري الفراهيدي اليمامي، وبعضهم يقول الفراهيدي، قال الأصمعي: سألت الخليل بن أحمد ممن هو؟ فقال: من أدمان من فراهيد. قلت: وما فراهيد؟ قال: جرو الأسد بلغة عمان. أه

## مولده ونشأته

ولد الخليل في البصرة حوالى سنة ١٠٠هـ ونشأ بها، وترعرع فيها وهي يومئذ مهد العربية ومطلع أقطابها، فباض بالمعارف ولا سيما الأدبية منها، فشب بين مرربها الذي أصبح عكاظ العرب بعد الإسلام، وحلقات أدبائها الذين كانوا مصابيح الدجى ونجوم الهدى، فاقتطف من أزهير المعارف ما شاء أن يقتطف، واجتنى من يانع ثمارها ما راق منظره وطاب مخبره، وبرز على أقرانه أيما تبريز. ومن أشهر مشايخه في الأدب أبو عمرو بن العلاء، ولما أنس من نفسه الكفاية رأى أن أخذ العربية عن الحضريين من العلماء والمتردين إلى الحواضر من الأعراب الذين لانت سلائقهم وضعفت طباعهم لا يوصل إلى اليقين ولا يهدى إلى مهيع الصواب، وعلم أن التبصر في هذا الشأن لا يتيسر إلا بمشاهدة الأعراب الخالص الذين توقحت سلائقهم، وصفت عربيتهم، ومعايشتهم في ديارهم، فشد الرحال، وضرب في كبد الجزيرة، وطفق يفتي ناصية الغلاة ويتنقل في الأحياء التي حلت في سره البادية ولم يكدر صفاء لغتها مخالطة حمراء الأمم وصفرائها كقيس وتميم وأسد وغيرهم ممن خلصت عربيتهم، فكان يلتقط ما يعثر عليه من درر كلامهم وفرائد خطبهم ونوادير أخبارهم وعيون أشعارهم وجليل آثارهم، فما عاد إلى وكره حتى وعى في حافظته أدبا وعلمًا جما، كما أوقر رحلته رفاقا وطروسا ومهارق حشد فيها شوارد النثر وفرائد النظم فكانت تلك المنقولات عدته في استخراج المسائل وبناء القواعد، وتبويب اللغة، وتصحيح القياس والإكثار من الشواهد والتوسع في إبداء البراهين.

## عقله

كان الخليل أية من الأيات في الذكاء ودقة التصور، وتوقد الفطنة، وصدق الحدس، وسعة الحافظة، وقوة الذاكرة، ورجاحة العقل، حتى كانوا يقولون: (لا يجوز على الصراط أحد بعد الأنبياء أتق ذهنًا من الخليل) ولا حاجة بنا إلى برهان أنصع من هذه المبتكرات التي أخرجها للناس كما سيمر بك بعد. وقد نقل أهل العالم عنه حكايات من هذا الشأن تتجاوز حد التصديق لولا ثقة روايتها وتكاثر نقلتها. من ذلك أنه جاءته رسالة عربية مكتوبة بالحرف السرياني فقرأها وهو لا يعرف شيئاً عن الحرف السرياني ولكنه استعان بما عرف أنها تصدر عادة بالبسملة والحمدلة ونحوهما.

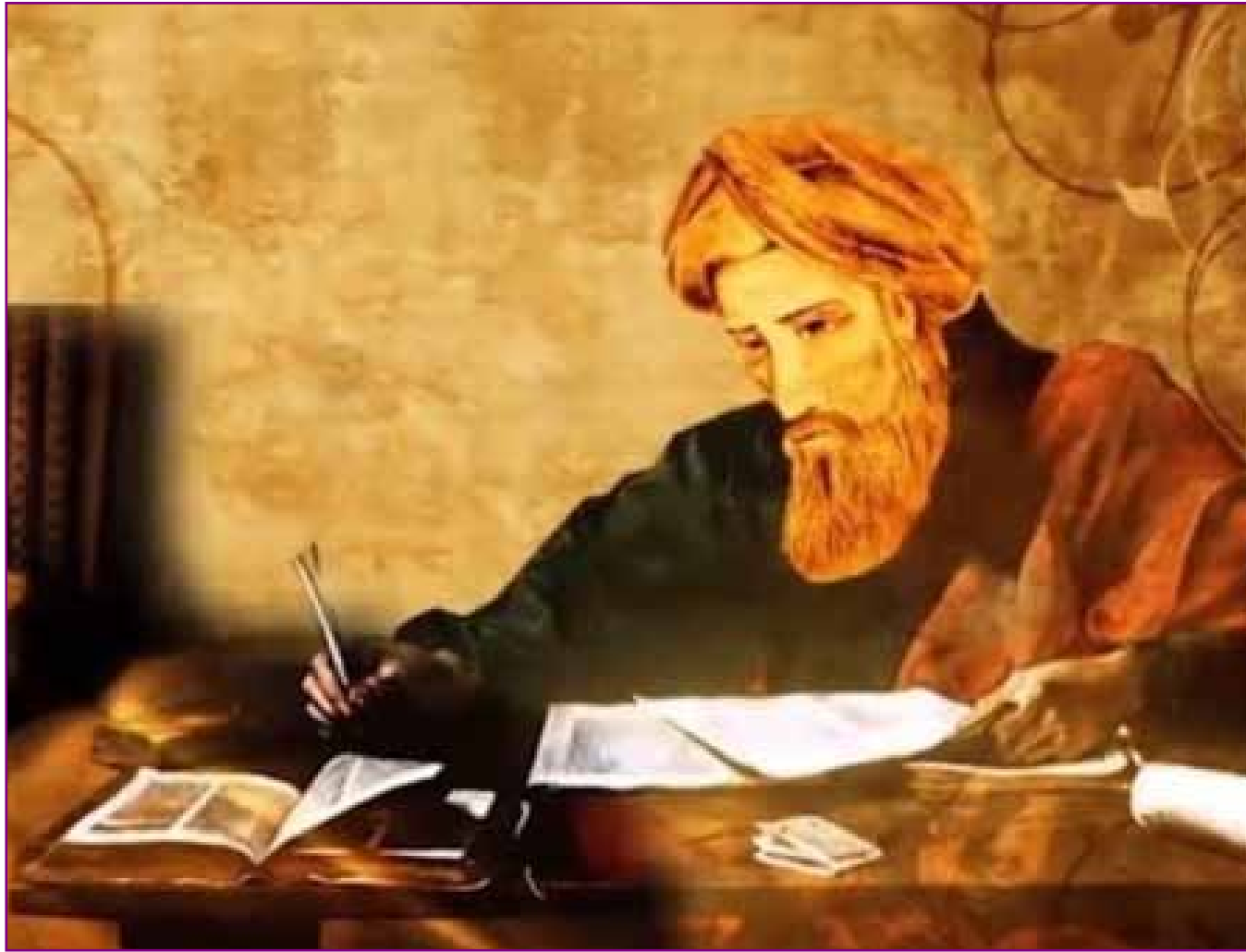
قال الرواة: اجتمع الخليل وعبد الله بن الققع ليلة يتحدثان إلى الغداة فلما تفرقا قيل لل خليل: كيف رأيت ابن المقفع؟ فقال: رأيت رجلاً علمه أكثر من عقله، وقيل لابن المقفع: كيف رأيت الخليل؟ فقال: رأيت رجلاً عقلة أكثر من علمه.

وقال حمزة بن الحسن الأصفهاني: (إن دولة الإسلام

لم تخرج أبعد للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل. ليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذي لا عن حكيم أخذ، ولا على مثال تقدمه احتذاء. فلو كانت أيامه قديمة، ورسومه بعيدة لشك فيه بعض الأمم لصنعت ما لم يصنعه أحد منذ خلق الله الدنيا من اختراعه العلم الذي قدمت ذكره، ومن تأسيس بناء كتاب العين الذي يحصر لغة أمة من الأمم قاطبة، ثم من إمداده سبويه من علم النحو بما صنف منه كتابه الذي هو زينة لدولة الإسلام.

## مبتكراته

لقد أبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها، واخترع علومًا أعجزت المتقدمين كما بهرت المتأخرين، فلا عجب إذا سميناها (شيخ المبتكرين من العرب). (علم العروض): لو لم يكن لل خليل من المبدعات إلا هذا العلم لكفاه منقبة، فإنه - لعمري - أبدع في تنسيق قواعده، وضبط أبوابه، كما بهر الألباب باختراعه. فقد حصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر



بحراً على كيفية أدهشت الفطن، وحيرت الأفئدة. ونحن نعلم أن كل مبتكر يعتره في بادئ الأمر الاضطراب، ويحف بالنواقص، فلا تستقيم قناته ويلبس الحلة التي تليق به إلا بعد أن تختلف العقول على صقله وتتقيد أوده حيناً من الدهر؛ سنة الله في خلقه. ولكننا رأينا علم الخليل بلغ الرشد يوم ولادته، فلم يستدرك عليه من جاء بعده باباً أهمله، أو قاعدة أخل بها، أو فصلاً نهل عنه، أو اصطلاحاً غيره خير منه - إلا ما كان من أمر البحر الذي زاده تلميذه الأخفش وسماه (الخبب)، ولا يعسر رد هذا البحر إلى واحد من بحور الخليل.

(الشكل): كان الخط في صدر الإسلام خلواً من الشكل والإعجام؛ فوضع أبو الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩هـ علامات للحركات الثلاث، فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة تحته، والضمة بين يديه، وجعل التنوين نقطتين، كل ذلك بمبدأ يخالف مداد الحرف. فلما وضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر من الحجاج نقط الإعجام اضطرب الأمر واشتبه الإعجام بالشكل فتصدى الخليل لإزالة هذا اللبس



فوضع الشكل على الطريقة المعروفة اليوم، وبنى ذلك على مقاييس مضبوطة وعلل دقيقة بأن جعل للفتحة ألفاً صغيرة مضطجعة فوق الحرف، وللكرسة رأس ياء صغيرة تحته، وللضمة واوا صغيرة فوقه؛ فإذا كان الحرف المحرك منونا كر الحرف الصغير فكتب مرتين فوق الحرف أو تحته، ذلك لأن الفتحة جزء من الألف، والكرسة جزء من الباء، والضمة جزء من الواو؛ ووضع للتشديد رأس شين بغير نقط ( )، ووضع للسكون دائرة صغيرة وهي الصفر من الأرقام العربية القديمة؛ وذلك لأن الحرف الساكن خلو من الحركة، ووضع للهمزة رأس عين (ع) لقرب الهمزة من العين في المخرج، هكذا قالوا. والذي أراه أن هذه الشكلة إنما هي الميم المتوسطة في لفظ (همزة) لأنك إذا كتبت هذا اللفظ وحذفت الهاء من أوله والزاي والتاء من آخره ظهرت هذه الشكلة واضحة. ووضع ألف الوصل رأس صا صا هكذا (ص)، ووضع فوق ألف الوصل ههما كانت الحركة فيها؛ وللمد الواجب ميماً صغيرة مع جزء من الدال هكذا ( ) فكان مجموع ما تم له وضعه ثمانين علامة: الفتحة والكرسة والضمة والسكون والشدة والهمزة والصلة والمدة، كلها حروف صغيرة أو أبعاض حروف بينها وبين ما دلت عليه أجلى مناسبة أو أوضح صلة، بخلاف علامات أبي الأسود وأتباعه فإنها مجرد اصطلاح لم يبين على مناسبة بين الدال والمدلول. وألف الخليل في هذا الموضوع كتاباً نفيساً فلم يزد أحد على طريقته هذه شيئاً ولا أصلح منها رأياً فكانه ابتدأها وبه ختمت

(الموسيقى) لم يكن الخليل يعرف لغة أجنبية وليس فيه ميل إلى اللهو والقصص ولكننا رأينا ألف كتابا في الموسيقى جمع فيه أصناف النغم وحصر أنواع اللحن، وحدد ذلك كله ولخص وذكر مبالغ أقسامه ونهايات أعداده فصار الكتاب آية في بابه، ولما وضع اسحق بن إبراهيم الموصلي كتابه في النغم واللحن عرضه على إبراهيم بن المهدي فقال له: أحسنت!... فقال اسحق: بل أحسن الخليل لأنه جعل السبيل إلى الإحسان. فقال بعض أهل العلم: إن مهارة الخليل في علم الألحان هي التي أعانته على إبداع علم العروض.

### كتاب سيبويه من وحي الخليل

الخليل أول من فتن معاني النحو وضبط أصوله، وبسط فروعه، واستخراج علته وأسبابه، ووسع فصوله وأبوابه، وأوضح سبله، وعبد مناهجه حتى بلغ أقصى غاياته؛ ولكنهم ترفع عن التأليف فيه لأنه منهل كثر وراده فأوحى إلى تلميذه وخريجه (سيبويه) من دقائق مسأله وبنات أفكاره وأبكار تصورات ما جعله حرياً بأن يشار إليه بالبنان، وجديراً بوضع كتابه المشهور الذي أصبح للنحاة إماماً يقتدون به ويهتدون بهديه، فمعظم ما في الكتاب مغترف من سلسل علم الخليل، ومقتبس من مصباح نكاه. وكلما قال سيبويه: (سألته) أو (قال) من غير أن يذكر أحداً فإنه يعني (الخليل).

كتاب العين أو (أبو المعاجم كلها)

علمنا أن الخليل قد طالت صحبتته لخلص الأعراب وكثرت إقامته بين ظهرانيهم، ثم إنه كان يحج بين العام والعام، وكان يقابل في طريقه إلى مكة فصحاء العرب وأقطاب بلغاتهم فاجتمع لديه كثير من مفردات اللغة وفرائد دررها، فعزم على جمع ذلك في كتاب لم يسبق إلى مثله، فرسم الخطة ورتب الأبواب على طريقة ابتداعها، وأسلوب لم يسبق إليه، وكان قد افتتح بحرف العين قسماه (كتاب العين) على عادة الكتاب في ذلك العصر، فإنه يسمون الكتاب بأول أبوابه ككتاب الجيم وكتاب الميم وكتاب العين وكتاب الحماسة وغيرها. وهذا الكتاب

- ٥ . كتاب الجمل
  - ٦ . كتاب الشواهد
  - ٧ . كتاب العروض
  - ٨ . النقط والشكل وقد أشرنا إليه آنفاً.
- ونكر الفاضل جورجي زيدان في كتابه تاريخ أداب اللغة العربية ما نصه: (في المكاتب الكبرى في أوروبا مما ينسب إلى الخليل.

- ١ . كتاب في معنى الحروف في مكتبة ليدن ومكتبة برلين.
- ٢ . شرح حروف الخليل في مكتبة برلين قطعة منه
- ٣ . جملة آلات العرب في مكتبة أياصوفيا في الأستانة
- ٤ . قطعة من كلام عن أصل العقل في مكتبة اكسفورد (بوليان).

زده وورعه كان الخليل من أولئك الفلاسفة الذين نظروا إلى هذا العالم نظراً الأذراء، ولم تدعهم بهرجته، ولا غرتهم زخارفه. أجل كان الخليل أحد زهاد الدنيا المتبتلين إلى الله تبتلياً.

ومن أنصع البراهين على ذلك أن أمير الأهواز (سليمان بن علي) أرسل إليه يلتمس منه الشخوص ليقيم بحضرتة ويؤدب أولاده فأخرج الخليل للرسول خبزاً بابساً وقال: كل فما عندي غيره. وما دمت أجد فلا حاجة بي إلى سليمان. فقال الرسول: فماذا أبلغه؟ فقال له: أبلغ سليمان أنني عنه في سعة... وفي غنى غير أنني لست ذا مال

شخصاً بنفسي أنني لا أرى أحداً... يموت هزلاً ولا يبقى على حال والفقر في النفس لا في المال نعرفه... ومثل ذلك الغنى في النفس لا المال

وكان سفيان بن عيينة يقول: من أحب أن ينظر إلى رجل من الذهب والمسك فيلنظر إلى الخليل. وقال تلميذه النضر ابن شمير أقام الخليل في خص بالبصرة لا يقدر على فلسين وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال الطائلة. ومن أو أيد حكمه: وقبلك داوى المريض الطبيب فعاش المريض ومات الطبيب

فكن مستعداً لدار الفنا ء فإن الذي هو أت قريب وبالجملة فقد كان الخليل إحدى حسنات هذه الأمة وقمراً من قمارها، ودرّة في تاج مفاخرها.

### وفاته

اختلف المؤرخون في السنة التي انتقل فيها الخليل إلى جوار ربه، فذهب جمهورهم إلى أنه توفي سنة ١٧٠هـ. وقال آخرون سنة ١٧٥هـ وقال بعضهم سنة ١٦٠هـ وأغرب خطأ وقع في ذلك هو قول ابن الجوزي في كتابه شذور العقود أنه مات سنة ١٣٠هـ وهو منقول عن الواقدي. قال المحقق ابن خلكان أنه خطأ قطعاً والصواب ما أثبتناه أولاً.

وكانت وفاته في البصرة مسقط رأسه فكانت البصرة مشرق هذا الكوكب الوقاد ومغرب. وقد ضمت تربيتها إلى من ضمت من أعلام العلم وأقمار الفضل ونجوم الهدى ورجال التقى الذين حلوا الأداب بأنفس الحلي، ونهضوا بالمعارف الإنسانية إلى مراتب العلا، فكانوا للعلم جمالا، وللتاريخ أبهة وجلالا، رضى الله عنهم ورضوا عنه ولقاهم في دار رضوانه تحية وسلاماً .

عن مجلة الرسام ١٩٧٤

الخليل في ترتيب حروف الهجاء مسلماً لم يسبق إليه، ذلك أنه رتبها حسب المخارج مع تغيير طفيف فجاءت على هذا الوجه: ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص ز ط ذ ت ظ ذ ث ر ل ن ف م و ا ي ،

قال الخليل: لم أبدأ بالهمزة لأنه يلحقها النقص والتغيير والحذف ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة، ولا في أسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها فنزلت إلى الحين الثاني وفيه العين ولحاء فوجدت أنصع الحرفين فابتدأت بها ليكون أحسن في التأليف. أه

### هل كان الخليل يقرض الشعر؟

قالوا: كان ينظم البيتين والثلاثة كما سيأتي. وروي الإثبات أنه سئل لماذا لا تقرض الشعر مع سعة علمك بالعربية وتبحرك في علومها؟ قال: (ياباني جديده وأبي رديئه) وهذا الجواب على إيجازه غاية في البلاغة وآية في الحكمة وحصافة الرأي.

### مؤلفاته

للخليل مؤلفات أبداع فيها أيما إبداع ولم يحتد في تأليفها وتوحيها حد من سبقه من أهل العالم. والذي يجيل النظر في سيرة هذا الرجل يتبين له أنه كان يرباً عن سلوك المناهج المبعدة في كل ما يكتب ويصنف، ولذلك كان يسلك في التأليف طرقاً خاصة يؤم فيها الناس ولا يأتهم بأحد. فمن تصانيفه:

- ١ . كتاب العين. وقد مر بك بعض أوصافه
- ٢ . فائت العين
- ٣ . كتاب الإيقاع. وهو في الموسيقى العربية ويظهر من مراجعة فهرس المؤلفات في هذا الباب أن الخليل يعتبر مجلي الحلية في هذا المضمار.
- ٤ . كتاب النغم، وهو في الموسيقى العربية

أول كتاب ألف في متن اللغة مرتباً على الحروف جمع فيه الخليل ١٢.٣٠٥.٤ كلمة، بعضها مستعمل وأكثرها مهممل. والذي حدا به لذكر المهممل استيفاء التقاسيم العقلية لكل كلمة، فمثلاً كلمة (كتب) يحتمل في الكاف الفتح والضم والكسر ويحتمل في التاء الحركات الثلاث والسكون وثلاث في أربع اثنتا عشرة صورة فيذكر الاثنتي عشرة صورة ويقول هذه الصورة مستعملة بمعنى كذا، وهذه الصورة لم تستعملها العرب. وق جمع الخليل في كتابه هذا من غرر الشواهد، ونوادير الفوائد، وضروب الحصر، وروصين القواعد، وجليل المسائل ما يعز وجوده في معجم غيره. على أنه تضاربت آراء العلماء في نسبة هذا الكتاب إلى الخليل أو إلى بعض تلاميذه أو إلى الليث. وقد ألف ابن درستويه كتاباً خاصاً في شرح هذا الخلاف واستقصى الجلال السيوطي في المزهر جميع ما دار في هذا الموضوع من أقوال. ولكن نحن لا نرتاب في أن الخليل هو الذي رسم خطط هذا الكتاب ورتب أبوابه ووضع حجر الزاوية بيده، أما أن غيره أكمله وزاد فيه فذاك أمر محتمل، ولكنه لا يدفع الخليل عن كونه المجلي في هذه الحلية وأنه أول واضع لمعاجم اللغة مرتبة على حروف المعجم، وأن من جاء من بعده إنما اقتبس من مصباحه واهتدى بمناره. ولم يزل جمهور الأدباء وأرباب البحث لهذا العهد يظنون أن هذا المعجم الجليل اغتالته أيدي الأيام فيما اغتالت من نفاثس الأسفار وجليل الآثار؛ ولكن من يمن الطالع أن عثر على نسخ منه أحد أدباء الحاضرة الهاشمية، فسعى الدحائة المشهور صاحب (لغة العرب) بمقابلة تلك النسخة، وتصحيحها باذلاً الجهد في تحري الصواب على عادته، ثم شرع في طبعه ولكن بعد أن أنجز منه بضع كرايس حالت الحال، وعرضت دون ذلك أهوال. ولا تدري هل بقي لتلك النسخ من أثر بعد أن تفرقت كتب الرجل أيدي سبا ومزقت كل ممزق؟

جسرى كل ذلك قبل نحو بضع وعشرين سنة.. وقد سلك

# الأب الكرمللي وكتاب العين للفراهيدي

عبد الله درويش

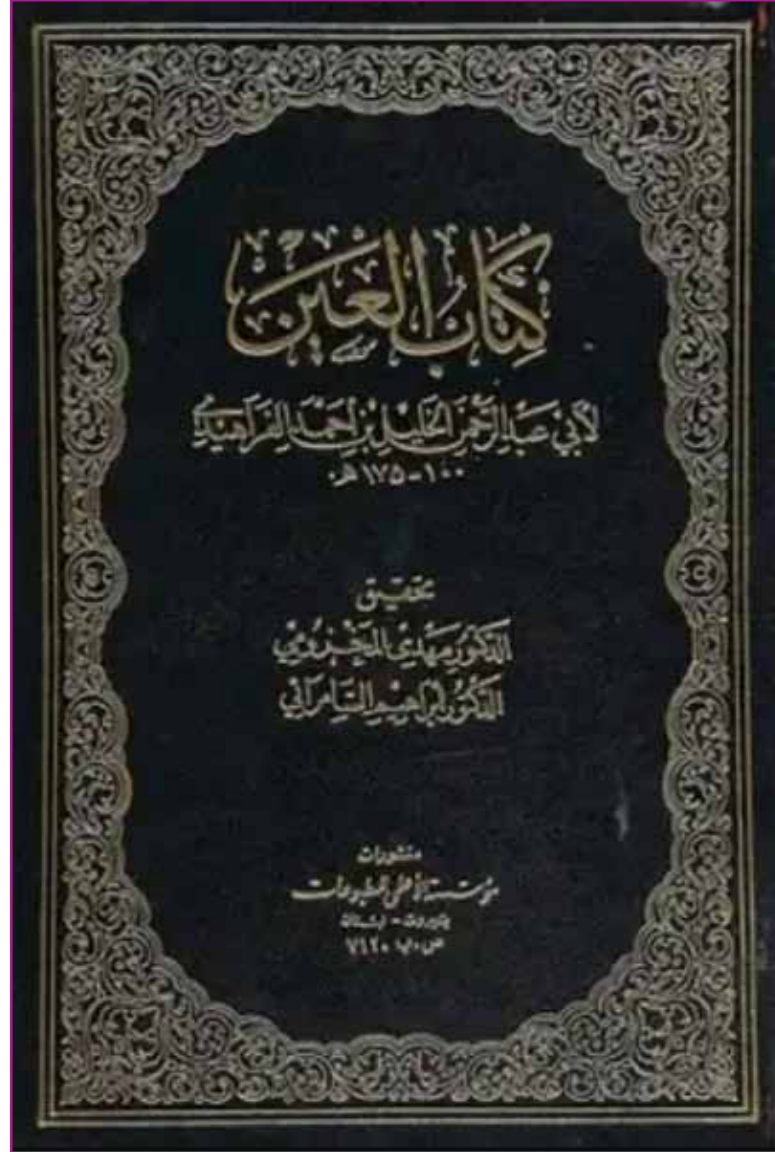
د

لا يمكن لباحث في موضوع نسبة معجم العين للفراهيدي أن يترك الإشارة إلى رأي الأب أنستاس الكرمللي في هذه المسألة إذ كان له فضل اكتشاف بعض النسخ قبيل الحرب العالمية الأولى، والتي لم يعثر عليها فيما بعد. فعندما أخذ العدة لطبع الكتاب نشر بحثاً مطولاً في مجلته «لغة العرب» نشر في عدد آب «أغسطس» ١٩١٤ عرض فيه لتلك المشكلة، ونود هنا أن نأخذ منه بعض النقاط لتبين وجه الصواب فيها.

د

أ- ذكر الأب أنستاس أن الكتاب احتوى على عبارة «قال الخليل، وسألت الخليل» واستنتج هو من ذلك أن السائل يكون غير المؤلف. وقد سبق أن وضعنا أن هذه ظاهرة شملت المؤلفات العربية الأولى، فقد كان عادياً جداً أن يرد اسم المؤلف في تضاعيف الكتاب في ذلك الوقت. والكرمللي نفسه مع أنه معاصر حديث. ومع تقدم أسلوب البحث العلمي قد ذكر في هامش كتاب العين ١ اسمه أكثر من مرة. ففي صحيفة ٩١ على سبيل المثال أورد بعض التعليقات اللغوية وختمها بقوله: «قاله الأب أنستاس، وفي صحيفة ١١٣ ذكر في الهامش تعليقا آخر، وكرر فيه نفس الظاهرة حينما قال: «قاله الأب أنستاس ماري الكرمللي». ومن يدري لو أن الظروف ساعدته في إتمام طبع الكتاب كله لكان رأينا عشرات الأمثلة لتلك الظاهرة.

ب- ذكر الكرمللي من الأدلة على أن الكتاب ليس للخليل أن اللغويين المتقدمين اقتبسوا من العين على أنه لليث. ورداً على ذلك نقول: إن بعضهم كصاحب اللسان والتاج الذين ذكرهما الكرمللي إنما نقل ما نقل عن طريق الأزهرى



وهذا أمر هين جداً فنجد أن أغلب الكتب المؤلفة في القرنين الثاني، والثالث الهجريين قد عمدتها هذه الظاهرة. وتفسيرها ما أن الأوراق قد عمدوا حين فنقلوها كما هي حتى أصبح من العسير التمييز بين ما أضيف، وبين ما هو من نص الكتاب، ولتقتبس هنا مثالا من كتاب النوادر لأبي زيد تتضح فيه هذه الظاهرة ١.

أورد أبو زيد هذا البيت على عادته في شرح الغريب: تهدينا. وأوعنا رويداً... ستي كنا لأمك مقتونيا

وقد عقب هذا البيت بشروح وتفسيرات من رواة متأخرين جداً عن عصر أبي زيد، وأغلب هؤلاء الرواة المذكور في سلسلة الإسناد التي وردت في أول الكتاب. أما ما ورد بعد هذا البيت في كتاب النوادر فهو: «قال أبو الحسن: القباس، وهو المسموع من العرب أيضاً فتح الواو من «مقتونيا»؛ فيكون الواحد مقتوي. فأما أبو العباس فأخبرني أن جمع مقتوين عند كثير من العرب مقاتوه إلخ».

ومن هذا ترى أن الراوي الأخير في السلسلة، ويعتبر المخرج للكتاب قد اقتبس عن راويين متأخرين عن المؤلف تفسيرين مختلفين للكلمة الواحدة. ومع هذا لم يؤخذ ذلك دليلاً ضد أبي زيد ولم يسلبه أحد نسبة النوادر.

ثم انتقل الكرمللي بعد ذلك إلى ذكر كيفية اكتشافه للمخطوطات، ووصف كل منها فقال:

«أما أن الأدباء ظنوا أن كتاب العين ضاع أو فقد فهذا ما يتحصل من نصوص كتبهم تليماً أو تصريحاً. فصاحب كشف الظنون يصف هذا الكتاب نقلاً عن هذا وذلك، ولا يقول شيئاً من عنده كما يفعل في وصف الكتب التي رآها بعينه» وقال صاحب كتاب اكتشاف القنوع بما هو مطبوع في ص ٢٩٨ «الخليل بن أحمد صاحب كتاب

صاحب التهذيب. وقد سبق أن أشرنا إلى أن الأزهرى هو أول من قال بأن الكتاب لليث - ولم لا يذكر الأب أنستاس أن بعض المتقدمين مثل ابن فارس وابن دريد، قد نقل عن العين على أنه للخليل.

وشيء آخر لم يذكره الأب أنستاس وهو أن اللسان، والتاج فيهما العبارات الآتية: «قال الليث، قال الخليل، قال في العين» ما سر هذا؟ سره واضح جداً وهو أن صاحب اللسان والتاج حينما ينقلان عن الأزهرى يذكران عبارة «قال الليث»، ودليلنا على ذلك أن هذا التعبير قد سبق في كثير من الأحيان بعبارة «قال الأزهرى» أما حين ينسبان القول للخليل فهما يقتبسنا عن ابن دريد في الجمهرة، أو ابن فارس في المجمل، وإذا عرفنا أن اللسان والتاج كان ههما استيعاب كل ما في الكتب السابقة سهل علينا أن نفهم هذا الاختلاف في ذكر المصادر التي رجع إليها.

وإذا رجعنا إلى بعض هذه الكتب لنرى رأي مؤلفيها الصحيح في كتاب العين، فإننا نجد أنهم لا يرون أن الكتاب لليث، وإنما هو الخليل فمثلاً قال صاحب التاج في مادة عين: «وهو أيضاً اسم المعجم المشهور للخليل بن أحمد، أما صاحب لسان العرب، فقد ذكر في مقدمته ١ الخلاف حول مؤلف الكتاب، ونقل بعض الأقوال فيه دون أن يكون له رأي حاسم في الموضوع.

وأعتقد أننا بعد هذا لا يمكن أن نعتبر أن متأخري اللغويين أو متقدميهم، كما يقول الأب أنستاس قد رأوا أن الكتاب لليث.

ح- ذكر أيضاً فيما ذكر من الأدلة. أن ورود بعض الأسماء لرواة متأخرين عن الخليل في كاب العين مما يجعله لا ينسب الكتاب للخليل.

العين المفقود»، وكرر هذا القول في ص ٣١٤، وذهب إلى فقده أيضاً علماء الإفرنج المولعين بحفظ آثار العرب واتبعهم أيضاً في هذا الرأي جرجي بك زيدان في كتابه تاريخ أداب اللغة العربية ٢: ١٢٣» إذ يقول: «ولم يصل إلينا من كتاب العين إلا ما نقل عنه في كتب اللغة كالمزهر للسيوطي، وكتاب النحو لسيبويه». ا. هـ. ثم قال في ص ١٢٤ وبالجملة فإن كتاب العين تحفة من تحف الأدب، وللتحليل فصل كبير في وضعه ولأسف أنه ضاع؛ وقد كان موجوداً إلى القرن الرابع عشر للميلاد. ولا يبعد أن يعثر الباحثون على نسخة منه في بعض المكاتب الخصوصية. ا. هـ.

البشرى بوجود الكتاب وبدء طبعه: «نشرت اليوم أبناء العرب كافة أن الشيخ كاظم أفندي الدجيلي، وجد نسخة من هذا الكتاب في كربلاء. ونسخة ثانية في الكاظمية وناسخا هاتين النسختين إيرانيان لا يحسنان العربية، ولهذا جاءنا مغلوطتين مشوهتين، وكلتاها ناقصة فنسخة كربلاء ناقصة العبارة في عدة مواد. وقد فعل الكاتب ذلك طلباً لنسخ الكتاب بسرعة فتصرف في النقد تصرفاً غريباً بحيث أصبح طبعه على تلك النسخة طامة من الطوام، وإهانة للمؤلف الذي تكبد له عرق القربة - وأما نسخة الكاظمية فينقصها ورقتان، وفيها أغلاط لا تقل عدداً عن أغلاط نسخة كربلاء، وإن كانت أغلاط هذه غير أغلاط تلك هذا والكاتبان مختلفان. والنسختان الأمان ستميزتان الواحدة عن الأخرى كما تشهد على ذلك أوام كل منهما، ولما رأينا هاتين النسختين بتلك الحالة استأنا غاية الاستياء لعلمنا أنه من البعيد أن يطبع مثل هذا الكتاب بتلك الصورة الشنيعة المشوهة القبيحة

>> التي تصم المؤلف وصمة عار لا يمحها مر الأدهار. وبقينا في حيرة حتى ظفرنا بنسخة كتبها عربي عارف باللغة. وبالنسخ فحينئذ أطمأن قلبنا. وبارشنا بطبعه مستعملين هذه النسخ الثلاث، وجعل اعتمادنا على النسخة الثالثة، فالثانية وهي نسخة كربلاء؛ لأن الأولى هي نسخة الكاظمية التي قابلنا عليها أوائل الكتاب وأواسطه وأواخره ولما تحققنا نقصها، وكثرة أغلاطها عدلنا عنها أيضاً وبقيت بأيدينا النسختان الأخريان. والكتاب يكون في نحو ٢٥٠٠ صفحة في خمسة أجزاء يحوي كل منها ٥٠٠ صفحة بحجم هذه المجلة، وبالحرف الذي تراه في هذا المثال، وهما نحن ندرج مثالا من الكتاب. وقد فتحنا باباً للاشتراك وهو ٤ مجيديات للعراق، وعشرين فرنكاً للخارج، وذلك عن كل جزء من أجزاء الخمسة، وبعد الاشتراك يضاعف ثمنه للعراق وللخارج. ولا يبعث بالمجلد إلا أن يدفع قيمته سلفاً، وإلا لا يلتفت إلى اشتراكه أو طلبه. ويكون أغلب محتويات الجزء الخامس فوائد وتذييلات وفهارس، وذلك لأن هذا الكتاب مرتب ترتيباً فلسفياً على مخارج الحروف مبتدئاً بالعين وهو أول حرف يخرج من الإنسان من أقصى حلقه إذا أراد التلفظ بحروف الهجاء، وهذا الترتيب الفلسفي لا يفيد الباحث شيئاً إذ وقته ثمين ويجب أن يعثر على ضالته بدون عناء عظيم، وبدون إضاعة الوقت سدى. ولهذا سنضع فهارس للمواد لتمكن الباحث من إرشاده إلى ضالته بسرعة وذلك على النظام المألوف الميسور، وهذه كلمتنا في هذا الديوان ومن له خاطر يصده، فليبدد لنا لتكون له من الشاكرين) الى هنا ينتهي الاقتباس عن الكرمللي من مجلة لغة العرب (.

عن كتاب (كتاب المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد)

# الفراهيدي.. المعلم الأول

بيان الصفي

لم تمتلئ نفسي بمحبة أحد علماء العربية كما امتلأت بمحبة الفراهيدي (١٠٠-١٧٥هـ) والأسباب كثيرة جداً، من أهمها أنه عالم عربي من أزد عمان، أبي النفس، متواضع، باحث نهم، رائد موسوعي، منفتح على الآخر المختلف، وهو المؤسس الأكبر لعلوم العربية في النحو والصرف والعروض والمعاجم والخط.

وهو مع جمعه كل هذه العلوم فقد امتاز بسلوك مثالي، جعل منه قدوة في العلم والصدقة والأخلاق، حيث جاهد النفس الطماعة، ففرض مثلاً لا يجارى في الابتعاد عن كل ما يهدد الكرامة والنبل، فأمضى حياته بعيداً عن الرفاه والتلف، منقطعاً للمعرفة والتعليم والتأليف.

## واضح علم العروض

كان الشعر العربي قبل الخليل يعتمد على رهافة الأذن الموسيقية في تحديد الوزن، فسلامته محكومة بالسَّماع، وقد عرف العرب عدة طرق بسيطة لتعلم موسيقى الشعر، منها ما سُمي بـ "التنعيم" أي استخدام صوت مقابل للبيت الشعري مثل:

يا حبذا ربيع الولد لا نغم لا نغم

وصحيح أن الشعر كان سليم الوزن غالباً قبله، لكنه هو الذي وضع الميزان الذي يضبط قواعد هذه السلامة مع تطور الحياة، وينقل المعرفة العروضية من السليقة والعلم البدائي إلى النضج والأصول العلمية. وعندها لن نكون مع الشاعر القديم الذي قال متهكما:

قد كان شعر الوري صحيحاً من قبل أن يُخلَق الخليل

فالخليل وضع أسساً علمية مفصلة، استطاع من خلالها أن يترك لنا علماء فيه تفاصيل ما يحتاجه الدارس والباحث، ففي هذا العلم تفاصيل عن البحور الشعرية، ودواثرها، وعلم القافية، واحتمالات التطور الإيقاعي مستقبلاً، وهو الذي وضع مصطلحات هذا العلم، وكان منفتحاً على أي تطوير، ولهذا قال ابن عبد ربه معترضاً بغير حق على الخليل في أرجوزته العروضية في كتابه المشهور "العقد الفريد":

وإنه لو جاز في الأبيات خلافاً لجان في اللغات وقد أجاز ذلك الخليل ولا أقول فيه ما يقول وقد يزل العالم النحرير وأحبر قد يخونه التحبير والحقيقة أن الخليل كان عالماً واسع الأفق، فله موقف مشابه في اللغة نقلته المصادر، حيث يرى أن تعليلاته النحوية اجتهاد، لا يمنع من أن يأتي اجتهاد أكثر صواباً من اجتهاده، فقد أورد الزجاجي للخليل في كتابه "الإيضاح:

"إن العرب نطقت على سجيئتها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتلت أنا بما عندي أنه علة لما علته منه، فإن أصبت العلة فهو الذي التمسست، وإن تكن هناك علة له فمتلني كمثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام، وقد صحت عنده حكمة بانديها."

هذا التواضع الكبير، قلما يمر معنا، مما جعل كثيرين يجترئون على الخليل، خاصة بعد موته، فقد ادعى الأقفش أنه أدخل بحراً جديداً لم يعرفه الخليل، هو "المتدارك القائم على فاعلن ومتحولاتها: فعلن و فعلن وسرت هذه الكذبة التاريخية، حتى سادت في جميع المحافل الأدبية، وغطت حقيقتين ساطعتين: الأولى أن الخليل بنى رؤيته في البحور على شيوخ البحر، لا على نماذج شديدة الندرة، والثانية الأطراف أن للخليل نفسه شعراً منظوماً على ما ادعى الأقفش أنه غاب عن أستاذه!

فقد وصلنا أن الخليل قد قال:

ليس المرء الحامي أنفاً مثل المرء الضيم الراضي

وقال:

أبكت على طلل طرباً فشجاك وأحزتك الطلل

## تاج موزع في الصدور والكتب

ومما يؤسف له أن نتاج الخليل موزع في صدور تلاميذه، وعرفناه من خلالهم، حيث لم يصلنا من كتبه إلا معجم "العين" الذي طبع مراراً، وهو أول معجم في العربية، مرتب بحسب مخارج الأصوات، مبتدئاً بأعمق صوت في الحلق وهو حرف العين، ومن هنا جاءت التسمية، إضافة إلى منظومة نحوية منسوبة إليه طبع في عمان (الفراهيدي عربي من أزد عمان)، ومن طرائفها أن فيها إشارتين إلى قصتين مشهورتين سنقرهما فيما بعد عند الفرنسي "لافونتين" حيث قال:

عجزوا وقالوا لو أردنا مثل ما

كالتعلب النازي إلى عنقوده

فزرى عليه وقال: هذا حامض

أو كالعجوز وقد أريق طبيخها

أما نتاجه الآخر فلم نعرفه إلا من خلال رسائل تلاميذه وكتبهم، على الرغم من أن المصادر تخبرنا أن له كتاباً من أهمها: "العروض" و"النقط والشكل" و"الإيقاع والنغم" لكنها لم تصلنا.

وعلى الرغم من ذلك فعلم الخليل وصل أكثره، فما كتاب سيبويه في الحقيقة إلا علم الخليل في النحو منقولاً بقلم تلميذه غالباً، وكثيراً ما يشير المؤلف الأمين إلى ذلك، فقد كان سيبويه من أعز تلاميذ الفراهيدي، وأكثرهم التصاقاً به، وأخذاً عنه.

وجل علم الخليل في العروض منقول في كتب العروض مفصلاً، ومثل ذلك الكثير مما له في الموسيقى والإملاء وعلامات الترقيم، بل تذكر المصادر أن كتابه "الإيقاع والنغم" كان مرجعاً أساساً للفنان الكبير إسحق الموصلي.

## المعلم الأمين

ولا معلم كالخليل، فسيرته في التعليم خالدة، حيث كان يمنح علمه لتلاميذه بلا مقابل، مكتفياً بما له كغيره من عطاء يمنح للمواطنين في ذلك الوقت، وكان تلاميذه يحملون له حبا كبيراً، لصدقه ونبله وتفانيه وسعة معرفته، وكان "سيبويه" ملازماً له، وكثيراً ما جاءه في غير وقت الدرس، أو مبكراً ليزداد من علمه، إلى حد أن زوجة الخليل كانت تنفر من ذلك، بينما كان يقول له عندما يأتي: "أهلاً بيا زائر لا يمل".

وكانت للفراهيدي أخلاق عالية، في الزهد والحكمة ينقلها إلى طلابه، حيث

يعلمهم مبادئ البحث وأخلاقه، ومن دروسه الأخلاقية قوله لهم: "الناس أربعة، رجل يدرى ويديري أنه يدرى، فذاك عالم فخذوا عنه، ورجل يدرى وهو لا يدرى أنه يدرى، فذاك ناس فذكروه، ورجل لا يدرى وهو يدرى أنه لا يدرى، فذاك طالب فعملوه، ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذاك أحقق فارفضوه."

وعلمهم الصبر على الصعوبات، وتذليل العقبات، واحتمال الأذى في سبيل الدرس، فقال: "لا تصل إلى ما تحتاج إليه إلا بالوقوف على ما لا تحتاج إليه". ومن أقواله الخالدة في العلم "إذا أردت أن تكون رأساً في العلم فعليك بطريق واحد." و"لا يعلم الإنسان خطأ معلمه حتى يجالس غيره".

وأبى الخليل أن يترك تعليم الفقراء وأطفال العامة ليتحق بتعليم أبناء الأغنياء والحكام، مع أن هذه الطريق في أيامه كانت جلم كل عالم، وبسلاً سريعاً لامتلاك المال والمكاسب والحظوة، وعنه قال النضر بن شميل: "أكلت الدنيا بأبذ الخليل وكتبه وهو في حُص لا يشعُر به".

فقد كان عَف النفس إلى درجة عالية، وجاءه رسول والي الأهواز ذات يوم يطلب منه القدوم لتعليم أبنائه، فماذا كان الرد؟ دخل الفراهيدي إلى شق في بيته المتواضع، وأخرج كسرات خبز يابسة، وقال للرسول:

قل للوالي ما دمت أجد هذا في بيتي فلا حاجة لي به" مما أدى إلى قطع نصيب الخليل من العطاء، فقال أبياته الخالدة:

أبلغ سليمان أني عنه في سعة

وفي غني غير أني لست ذا مال

شحنى بنفسي أنسي لا أرى

يموت هزلاً ولا يبقى على حال

والرزق عن قدر لا العجز يقصمه

ولا يزيد فيه حَول محتال

والفقر في النفس لا في المال تعرفه

ومثل ذلك الغنى في النفس لا المال

ونكر أنه "كان الملوك يقصدونه ويبدلون له الأموال فلا يقبل منها شيئاً" وبلغ من تواضع الخليل وهو من هو علماً وشهرة أنه امتحن "النظام" وقد جاءه تلميذاً، فلما أجسن وأبدع في الإجابة، لم يخجل الخليل من أن قال له: "يا بني نحن إلى التعلم منك أحوج".

## الصدوق الصدوق

ومن أخلاق الفراهيدي أنه كان ذا نفس مرهفة، وفيماً لصحبته، يواسيهم ويخفف الجناح لهم، ففي حادثة شديدة الدلالة نقلها الشاعر ابن مناذر قال: "كنت أمشي مع الخليل بن أحمد فانقطع شمع نعلي، فخلع نعليه، فقلت: ما تصنع؟ فقال: أو اسيك في الحساء". كذلك قال الأصمعي: "دخلت علي الخليل وهو جالس على حصير صغير، فقال لي: تعال اجلس، فقلت: أضيئ عليك، فقال: مه! الدنيا بأسرها ما تسع متباغضين، وإن شبراً في شبر ليسع متحابين".

ولم يتوان عن مصاحبة الناس بغض النظر عن دينهم أو قوميتهم أو اختلافهم الفكري معهم، فمثل الأخلاق الإسلامية الإنسانية في أبهى صورها، إذ نقلت الأخبار أنه "كان يجتمع بالبصرة عشرة في مجلس، لا يعرف مثلهم في تضاد أدبائهم ومذاهبهم ومشاربهم: فقد ضم مجلسه السيد الحميري، وصالح بن عبد القدوس، وسفيان بن مجاشع، وبشار بن برد، وحمام عجرد، وابن رأس الجالوت، وابن نظير، وعمرو ابن أخت المؤيد، وروح بن سنان الحراني.

ومن صور أخلاقه السامية، أنه حضر مجلس أبي عمرو بن العلاء وكان أشهر علماء العربية قبله، فظل صامتاً، ولم يحاول أن يعقب أو يصحح لهذا العالم، ولم ينطق، فقبل له: ما منعك من ذلك؟ قال: نظرت فإذا هو رأس من خمسين سنة، فخفت أن ينقطع، فيفتضح في البلد".

## الخليل الشاعر

لم يكن الفراهيدي من الشعراء، على الرغم من الشعر الذي قاله، وكله في الحكمة والتأمل والحسن، فقد صرح أن ما يريده من الشعر لا يأتيه، وما يأتيه لا يريده، ومع ذلك فله أبيات كثيرة تدل على شاعرية جميلة، وأن علمه وتواضعه جعلاه لا يرى في نفسه شاعراً، ومما قاله:

يقولون لي دارُ الأحياء قد دنت

وأنت كئيب إن ذا لعجب

فقلت وما تغني الديار وقربها

إذا لم يكن بين القلوب قريب

×××

وما شبيء أحب إلى لئيم

إذا سب الكرام من الجواب

مشاركة اللئيم بالأجواب

أشد على اللئيم من السباب

×××

يعيش المرء في أمل

يردده إلى الأبد

×××

عمل بعلمي وإن قصرت في عملي

ينفعك علمي ولا يضرك تقصيري

×××

تكثر من الإخوان ما استطعت إنهم

بطون إذا استنجدتهم وظهور

وما بكثير ألف خل لعاقل

وإن عدواً واحداً لكثير

×××

سأزوم نفسي الصفيح عن كل مُذنب

وإن كثرت منه علي الجرائم

فأما الذي فوقسي فأعرف فضله

وأنتع فيه الحق والحق لأزم

وأما الذي دوني فإن قال صنت عن

إجابته عرضي وإن لأم لأتم

عن مجلة نزوى



# بين الفراهيدي وتلميذه المخزومي

د. مهدي صالح الشمري

**بين المخزومي والخليل بن احمد الفراهيدي تلميذ وصحبة، ظهرت ثمرتها الاولى سنة ١٩٥١م في رسالة أعدها التلميذ لمرحلة الماجستير عن الاستاذ، وقد نشرت هذه الرسالة في كتاب عنوانه: (الخليل بن احمد الفراهيدي - اعماله ومناهجه) عام ١٩٦٠ في بغداد.**

قال المخزومي: (كنت قد تلمذت للخليل وصحبته وأخذت من هذه التلمذة وانست بالصحبة).

ولم تنته بانتهاها الرسالة والكتاب، إذ تواصلت الي مابعدهما، إذ يذكر المخزومي: انه (إذا أملت بي حاجة الي توضيح غامض وتبين مهم، بذلت ماتهباً من جهد لاستشفاف روح الخليل وعقله واستكناه علمه).

ويقول ايضا: (اني لم أوف الرجل ولا استطعت ان ارسم له صورة متكاملة). وبالرغم من انشغاله في الاعداد لمرحلة الدكتوراه يقول: (لم أنس الرجل ولم يضعف اعجابي به، وبما قدم للعلم والحضارة والتاريخ العربي الاسلامي من اسباب الاعتراز والفخر) ويؤكد هذا القول باظهار كتابه الثاني عن الخليل بعنوان: (عبقري من البصرة) عام ١٩٧٢، الذي قال في مقدمته: (جاءت الفرصة ان أجهد العهد به وان لم تنقطع صحبتي له، وان أرد بعض ماله علي وأنفع بعض ما استطعت دفعه.. واستدرك ما فاتت همي ومطلبي من تعليقات وزيدات ألحقها بأصل الرسالة).

وواصل المخزومي اهتمامه بابداع الخليل ولاسيما وققته في وجه موجة التشكيك التي قادها الذين درسوا علي الغربيين من الذين شنوا حملات الاساءة الي التراث العربي الاسلامي، من دون استناد الي موضوعية او حقائق علمية، وقد انطلقوا هم واساتذتهم من نفي اية حسنة تنسب الي هذه الامة حتي في لغتها التي كانت مدار الاعجاز السماوي وساحة التحدي لما كان يحسن من واجهتهم الدعوة الاسلامية.

خاطب المخزومي هؤلاء بقوله: (قد استعظم بعض ذوي القصد السيء وبعض ذوي الغفلة وبعض المقلدين من الدارسين المحدثين ان يتفرد الخليل بالإنجازات العلمية، فراحوا يتخبطون في المزاعم تخبطا، ويخلطون في الآراء تخليطاً، فنبسبوا النحو لليونان.. والسريان.. وشككوا في نسبة كتاب العين.. ان نسبوه الي الهنود مرة والي الصينيين اخري وانكروا ابتداءه).

(فلم تصمد امام الحقائق، ولم تثبت امام حكم التاريخ، ولم تنل بالسوء عمل الخليل، ولا استطاعت ان تمحو آثاره.. ولا قويت.. علي اخفاء الحقيقة الناطقة بعبقرية الرجل الذي آمن بالعقل هادياً وبالعلم مرشداً وبالفكر وسيلة وبطلب العلم وخدمة الحضارة غاية فئدي (هذا العملاق) عن كل ما في الحياة من بهرجة، وعن كل ما في نفوس الناس من جشع، واغلق بابه دونه حتي لا يجاوز همه).

ويهون المخزومي علي الخليل، وربما يهون علي نفسه كما سنرى، هذا الانقطاع وهذه الوحشة مما ظهر او يظهر من جفاء في قوله: (ولن يضيرك يا أبا عبد الرحمن عقوق ما يرتكبه تلاميذك في هذا العصر، كما لم يضرك من قبل حملات الحمقى واتهامات ذوي الغفلة، ودعواي أدعياء العلم، سينشكف الغطاء الذي ران علي النفوس، وينتفضع الضباب الذي اشاعته نقطات الحقد والحسد، وتبقى عبقريتك خالدة، وعربيتك صافية وحرك متألقة).

محطة المخزومي

لقد توطدت عند المخزومي المكانة الكبرى للخليل بن احمد الفراهيدي العالم المتفرد والانسان الكامل

والنموذج الذي يحتذي الذي لايدانيه نظير، فيقول فيه: (كان الخليل من أزهدي الناس وأشداهم تعقفاً، واعلامهم نفساً، يتأبى ان يبيع علمه ببيع السلع، ويتعفف ان يوقفه علي مجالس الامراء وذوي السلطان وكان (غيره) فضلا عن انه علي شيء من اليسار، وعلي كثير من الحرص، لا يأبى ان يمد يده حتي الي تلاميذه.. في المقابل يرد الخليل من يلوح له بالثروة والجاه.. ردا جافياً.. في ما يشد غيره الرجال طلباً لما عافه الخليل).

ولا يجد المتتبع لما يعرض المخزومي سردا مجردا منفصلا عن شخصية كاتبه، بل فيه ما فيه مما كان يعاني، ولعل عبارته: (الخليل يصرخ في مسمع الدهر ليلتفت اليه ويتحدث عنه باحاديث الخلود) هي تعبير عما يعتمل في صدر الرجل المعبر عن نفسه لان الدهر تحدث عن الخليل والتفت اليه، لكنه كان صامتا بازاء المخزومي في محنة اقضائه عن طلبته ومريدية في معاهد العلم وقاعات التدريس.

وفي تأمل المخزومي لسر عبقرية الخليل وايداعه وتكامل شخصيته يقول: (وهب عقل مستوعب، وذهن ناقد.. وبيئة البصرة.. والبوادي.. فالنقت في ذهنه كل تلك الثقافات، وحفظها وتمثلها، واعاد صوغها، واحكم بناءها وتبويبها وتصنيفها و اضاف اليها تجاربه والفجاجة الي طور النضج والاكتمال، واذا بالدرس اللغوي غير الدرس اللغوي، وبالنحو، غير النحو، واذا بالدارسين يتناولون علي مجلسه من كل جانب ومن كل أفق، ليعبوا من نحو الخليل في - الكتاب - كتاب سيبويه (ت ١٨٠هـ) الحاوي علم الخليل.

و (ليس العلم استيعابا للمسموعات، ولا استظهارا لمحفوظات، لكن العلم هو الحفظ والفحص والنقد (والتمثل) ويورد قول ابن المقفع في الخليل: (رأيت رجلا عقله أكبر من علمه) ويقول المخزومي: (طوع التدبير والتفكير في ما في نفسه وفي ما حوله هو الذي وسع عقله وشحن فطنته وأرفق حسه وفجر عبقريته (ان) يخضع كل شيء لطول التدبير واعمال الفكر.. كان عالما من طراز خاص، ودارسا يتمثل به نوع أمة وعبقرية جيل).

وقد خطا الخليل بالنحو خطوات واسعة فأكملت علي يديه، بعد ان جاءه ممن سبقه، ثم اعاد النظر فيه بعد ان اجري وصفا جديدا للعربية استنادا الي مايسمعه بمشاهدة الاعراب في بوادي نجد والحجاز وتهامة، كان يسمع من هؤلاء ليعيد النظر ولتثبت اركان هذا العلم علي قواعد راسخة وأصول واضحة، انطلاقا من اللغة نفسها في التحليل والتأويل والافتراض والقياس.. الخ لكن المتأخرين أقحموا المنطق وعلم الكلام والفلسفة

وليس من هذا العلم فيه، وهذا ما رفضه المخزومي الذي تمسك بمنهج الخليل وانتقد الدرس النحوي الذي دب اليه الجذب الذي (أودي بحيويته وقدرته علي تادية وظيفته وصار درسا في الجدال يعرض النحاة فيه قدرتهم علي التحليل العقلي بما كانوا يفترضون من مشكلات ومايقترحون من حلول).

وقد سمي النحو الذي ابتعد عن الغرض الذي أنشئء من أجله، بالنحو المرض، إذ يقول: (استطاع النحو المريض ان يعبر هذه الفروض وان يخطو قتيلا علي العقول.. وسره ان يجد في مدارسنا الحديثة من يحتفي به ويفرضه علي الناشئة).

وقد ميز المخزومي بين نظامين من العلماء في تاريخ النحو العربي في كتابه (اعلام في النحو العربي) عام ١٩٨٢م، نمط الخليل ومن سار علي نهجه وهو النمط الايجابي، والنمط الثاني النمط السلبي، وكانت غاية المؤلف لغت النظر الي (عصر ازدهار الدرس ويسهم في الدعوة الي الموازنة بين أول النحو واخره، والي احياء النحو، وتجديد ديباجته، ورد الاعتبار اليه، لان هؤلاء الاعلام هم الذين وضعوا قواعد هذا الدرس وهم الذين اعلوا صرحه، وهم الذين احسنوا رعايته وتنشئته..

وان الأخذ بالساليبهم، والاقتداء بهم باصطناع مناهجهم انما يعد احياء للنحو وانتصارا للدعوات الضخيرة التي دعت الي تخليص النحو من قيوده الثقيلة والي تنقيته من الشوائب التي وسمنه بها العصور المتأخرة عصور التخلف والانحطاط عصور الموسوعات والمختصرات عصور المنظومات والمتون والشروح



والتعليقات، وشرح الشروح).

وقد أكد المخزومي ان (النموذج الذي يجب ان يحتذي.. أقصد الخليل بن احمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه عالم اهل البصرة وحامل علم الخليل، والفراء الذي فتح آفاقا جديدة لدرس ينبض بالحوية والافق الاوسع، وعند المخزومي ان الاخفش (ت ٢١٥هـ) انموذج سلبي دعي متناقض متكسب ادركته حرفة الادب (وحرفة الادب أفة الادباء كما يقول الخليل)، لكنه لاينسي فضل الاخفش وحفظه ونقله لكتاب سيبويه.

ويجد المخزومي بين (المجرد ٢٨٥هـ) والخليل بونا شاسعا ذلك لاتجاه المبرد الي الجدل والمنطق والفرضيات والامثلة البعيدة عن الواقع اللغوي.. ثم التكسب بهذا العلم.

نقد وتقويم

ومن النماذج السلبية ابو علي الفارسي (٢٧٧هـ) الذي انصرف عن الرواية الي المبالغة في القياس وقد قال عبارته الشهيرة: (لئن أخطيء في مئة مسألة لغوية ولا اخطيء في واحدة قياسية). وقد رفض المخزومي هذا الاتجاه للانصراف عن المصدر الحيوي وهو السماع والمشاهدة.. واخذ كذلك عليه بعده عن سلوك الخليل في ولوج القصور ومصانعة السلطان ومنامدة الامراء.

ومثلما انتقد الفارسي انتقد الرماني (٢٨٤هـ) الذي جاء ب (نحو جديد لايتصل بنحو العربية من قريب او بعيد.. وليس فيه من نحو الخليل والفراء الا مصطلحات خالفت معانيها، والا عبارات غيرت دلالاتها.. ذلك كانوا يقولون: (النحويون في زماننا ثلاثة واحد لايفهم كلامه وهو الرماني، وواحد يفهم بعض كلامه وهو ابو علي الفارسي وواحد يفهم جميع كلامه وهو السيرافي).

والسيرافي (٣٦٨هـ) في اعتداد المخزومي وتقويمه: (كان زاهدا في المناصب قانعا بهذه الدراهم المعدودات يصرف فيها شؤونه وحاجاته مقتفيا المثل الاعلي في الزهد والعفة والاباء، والاقبال علي طلب العلم والانصراف عن الدنيا، الذي قل ان يشهد التاريخ له نظيرا اعني الخليل بن احمد الفراهيدي الذي ابتسمت الدنيا لتلاميذه وهو في خص لايشعر به احد، وكان ابو سعيد السيرافي كثير الاستشهاد باقواله شديد الميل الي احتذائه).

ثم ابن جني (٣٩٢هـ) تلميذ ابي علي الفارسي الذي وضعه المخزومي في خانة الايجاب خانة الانصراف الكامل للعلم خانة الخليل ابن احمد الفراهيدي وقال فيه: (كان لايدع فرصة الاستغلبا في طلب العلم فكان ان احتل مركزا مرموقا وقدم للدرس العربي مددا جديدا، ولجالس الدرس مواد جديدة، وخاض مجالات للدرس عزيزة علي غيره من الدارسين منذ ان توفي الخليل والفراء فكان ابو الفتح (ابن جني) بحق متمما لما بدأه الخليل من بحوث في اللغة تتعلق بدراسة الصوت، وبنية الكلمة.. وكان في مقدمة اعماله الفخمة كتابان مائزان لان مرجع الدارسين في فهم آراء الخليل.. وهما:

(سر صناعة الاعراب).. وكتاب (الخصائص) في اصول الدراسة النحوية).

لكن المخزومي يأخذ علي ابن جني اهماله نسبة آراء الخليل لصاحبها وكأنها له: (حتي خيل للدارس انها لابن جني ويزيد ابن جني في حمله علي مثل هذا التخيل ان ينسب الي نفسه امورا لو تتبعها الدارس الفاحص لأوصله تتبعية الي الخليل من هذا مقالته التي عقد لها بابا سماه: اساس الالفاظ اشباه المعاني). ومافات

المخزومي النظر في دعوة ابن مضاء القرطبي الاندلسي التي دعا بها الي هدم نظرية النحو المشرقي استنادا الي مقاييسه التي تحترم منهج الخليل فيقول: (ثم نحاة الاندلس وهم النحاة المشرقيون - اللهم الا ما كان من ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) الذي درس كتاب سيبويه.. وكان يضييق بمعاصريه من النحاة.. وكان يغيبه منهم اندفاعهم في التقليد فطالب النحاة ان يحذفوا من مايستغني عنه ودعاهم الي الغاء فكرة العامل) ثم يبين

المخزومي رأيه في هذه الدعوة: (لست ممن يجحد لابن مضاء ومضة ذهنه او يوهن دعوته القوية العارمة، ولكنني انست من بعض اقواله لمحات رجعت بي الي ما وجدته عند الفراء وغيره ولم يكن كتاب - الرد علي النحاة لابن مضاء - في واقعه خطة لدرس جديد ولكنه طائفة من آراء متفرقة اراد صاحبها ان يهدم بها بناء تعاونت القرون علي اقامته دون ان يقدم للدرس خطة جديدة يبنني عليها نحو جديد) وهذه الخطة هي ما كان من سعي المخزومي ودأبه كما سنرى.

وأصل رد ابن مضاء علي النحاة انهم (الترموا مالايلزمهم وتجاوزوا به القيد الكافي في ما ارادوا منها وتوعرت مسالكها ووهنت مبانيها وانحطت عن رتبة الافئاد حججها).

غير ان المخزومي الذي وضع الخليل وعصره المثال الذي يحتذي وبه يجب ان يتمسك قائلنا: (فماذا بهذه الدراسة ناصحة متكاملة، منهجا واصولا ومسائل، وقد بلغت ذروتها علي يد الخليل بما قدم لها من اعمال وقد ساعد الخليل علي ان يمضي بهذه الدراسة شوطا بعيدا

في النضج والاكتمال ماتيسر له ومعاصريه من مصادر لغوية منقولة له من شعر وخطب وامثال ومن مصادر حية كانت بوادي نجد والحجاز وتهامة تحفل بها، اعني العرب الفصحاء).

وبالرغم من اعتراض المخزومي علي ابن مضاء ومجمل دعوته يوافق في الغاء نظرية العامل والتقدير والغاء العلل الثواني والثالث، في قوله: (ان نخلص الدرس النحوي مما علق به من شوائب جرأها عليه منهج بخيل، هو منهج الفلسفة المذبة الذي حمل معه الي هذا الدرس فكرة (العامل) واذا بطلت فكرة العامل بطل مايبنى عليها من تقديرات متمحلة وكان الخليل بن احمد اذا تناول مسألة.. نحنا فيها نحوا مقبولا في نظر الدرس اللغوي ولم يفلسف المسألة او يتكلف تعليلا عقليا، وانما يستعرض في ذهنه استعمالات العرب واساليبهم، وكان الفراء، وهو اشبه الدارسين بالخليل يتناول القياس تناول الخليل اياه.. دون ان يتكلف واستنتاجا، او يتمحل في استنباط.. ان ماجاء به الخليل والفراء ليس من النحو الخالص، وانما كان درسا شاملا لفروع الدراسة النحوية واللغوية والصرفية والصوتية).

واصبحت الحاجة الماسة الي ترفيق الموضوعات التي هي خليط من العلوم اللغوية من التي تناولها الخليل والفراء ومن عاصرهما مختلطة متشابكة.. (من اجل ان طبقات النحويين الذين جاؤا بعد الخليل والفراء لم يدركوا موضوع دراستهم ولاعرفوا حدود تخصصهم وقد فاتهم الكثير من الاصول التي هي من صلب موضوع الدراسة ولم يلتفتوا الي اهميتها والي عمق الصلة بينها وبينه واقتصروا في دراستهم علي ماشغفوا به من فكرة العمل والعامل، وقصروها علي ما كانوا يلاحظون من تأثير لبعض الكلمات في بعض ولايمثل هذا الاجانب

ضئيلا من جوانب الدرس النحوي الحق..) وقد اعترز المخزومي لهؤلاء المتأخرين بالاستناد الي المتاح والمختصر من اتصال النحويين بالمتكلمين او قد يكون بعضهم منهم، وان المنهج لم يتضح وينسقر عندهم، ولاعهد لهم بمنهج البحث العلمية الرصينة انما كانوا في مرحلة النشأة والبداية.

# العين.. الخليل بن أحمد الفراهيدي



manarat

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير

عزى ريم



رئيس التحرير التنفيذي  
علي حسين

سكرتير التحرير  
رفعة عبد الرزاق



طبعت بمطابع مؤسسة منارات للإعلام  
والثقافة والفنون



والمسك فليُنظر الى الخليل بن أحمد ، وكان الخليل يقول : اربع تعرف بهن الأخرة ، الصفح قبل - طلب الصفح - وتقديم حسن الظن قبل التهمة والبذل قبل المسألة ومخرج العذر قبل العتب .

في تنظيمه لكتاب ( العين ) كأوسع معجم عربي رتب الحروف العربية على مخارجها من الحلق كما جاء غي مقدمته وعلى الوجه الآتي : ع.ح.و.خ.غ.ق.ك.ج.ش.ض.ص.س.ز.ط.ث.د.ذ.ر.ل.ن.ف.ب.م.و.أ.ي. ونظم بعض الإبداء في ترتيب حروف العين ومنهم ابو الفرج سلمة بن عبد الله الذي قال :

ياسائلي عن حروف العين دونكها  
العين والحاء ثم الهاء والحاء  
والجيم والشين ثم الضاد يتبعها  
والدال والتاء ثم التاء متصل  
واللام والنون ثم الفاء والياء  
بسط الخليل في كتابه الشهير هذا الكلام في هذه الحروف ومخارجها باعتبارها تسعة وعشرين حرفاً جعل منها خمسة وعشرين حرفاً صحاحاً لها احياء ومدارج وجعل منها أربعة هوائيه هي :

الياء والسواو والالف والهمزة وليس لها حيز تنسب اليه سوى الهواء غير أنه جعل الهمزة وحدها في حيز الحروف الصحاح رتبها :

١- العين ثم الحاء ثم الهاء ثم الحيز واحد وبعضها ارفع من بعض  
٢- الخاء والغين من حيز واحد، وهذه الحرف هي الحلقية  
٣- القاف والكاف لهويتان ، مبدأهما اللهاة  
٤- الجيم والشين والضاد في حيز واحد وهي شجرية مبدأها من شجر الفم وهو مفرجه  
٥- الصاد والسين والزاي اسلية من اسلة اللسان وهي مستند طرفه  
٦- الطاء والدال والتاء حروف نطعية  
٧- الطاء والدال والتاء في حيز واحد وبعضها ارفع من بعض وهي حروف لنوية  
٨- الراء واللام والنون حروف نلقية من نلق اللسان وهو تحديد طرفه  
٩- الفاء والياء والميم حروف شفوية مبدأها من الشفة

سمى الخليل كتابه باسم أول حرف اعتمده وهو العين ، ولقد آخرون وخالفه آخرون ولكن احدا لم يشك في عبقريته وحسن تنظيمه لمعجمه الشهير .  
اختلف الدارسون في سنة وفاته وكان ذلك بين سنتي ١٠٥ - ١٧٠ والفرق كبير وله من الكتب الكثير منها : الايقاع - تصريف الفعل - العروض - معنى الحروف - الشواهد وغيرها كثير .

باسم عبد الحميد حمودي

يروى أن الخليل وأبن المقفع اجتمعا ليلة بطولها يتذاكران ثم أفترقا ، فسئل الخليل عن ابن المقفع فقال : رأيت رجلا علمه أكثر من عقله . وقيل لأبن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ فقال : رأيت رجلا عقله أكثر من علمه .  
مهما يكن من امر فالاصمعي يروي عنهما الكثير ويروي عن الخليل انه قسم العلوم تقسيما يدل على مدى تحكمه بأدوات علمه ( وأنه لم يقف عند حدود الوعي والحفظ بل عدا هذا وذاك الى الإبداع والخلق ) .

ولد الخليل بن احمد بن فرهود الشهير الفراهيدي ( نسبة الى جده ) في البصرة سنة ١٠٠ للهجرة ، وقيل أنه ولد في عمان ( حيث عاش جده وهو من ثقافة الأزدي ) . في البصرة حيث نشأ ، درس على يد أبي عمرو بن العلاء والسختياني البصري وعاصر الاحول وابن القطان البصري وسواهم كثير . اشتهر الخليل - وهو مؤسس علم العروض - لابعلمه بل بنباهته وحسن اخلاقه ، وكان سفيان الثوري يقول : من أحب ألى رجل خلق من الذهب

# الجابري والفراهيدي.. تقدير طويل

## محمود الرحبي

من يقرأ مشروع المفكر محمد عابد الجابري، وهو مشروع طويل ناهز الثلاثين كتابا، كل كتاب منه بمثابة رؤية تحليلية متكاملة تمتاز بالجدية وبعد النظر. وكان من أهمها رباعيته (نقد العقل العربي) افتتحها بمجلد "تكوين العقل العربي" الذي شكل فتحا غير مسبوق في بنية التفكير العربي. وكان الجابري ينظر في مشروعه إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي نظرة تقدير كبيرة وذلك بفضل عبقريته التي أتاحت للعقل العربي فتوحات جديدة على أكثر من مستوى. تلك العبقرية التي يوعز إليها الجابري السبب في تعقيد وانبثاق مجموعة من القوانين ساهمت في (تكوين) العقل العربي وخاصة في جانبه البياني. حيث أن المكانة التي حظي بها الخليل بن أحمد عند الأستاذ الجابري، لا تقل عن تلك التي حظي بها كل من ابن خلدون وابن رشد. وقبل التطرق إلى تلك المكانة وطبيعتها، سنعرج قليلا على أهم (ميكانيزمات) حياة الخليل، تلك التي ضمنت له الفرادة والنبوغ على مر العصور.

كان ابن المقفع يقول: إن الخليل بن أحمد الفراهيدي "عقله أكبر من علمه" وهذا استنتاج في غاية الأهمية، إذا استحضرنا قناعة إلى أن علم الفراهيدي كان قد تميز بالغرارة والتعدد والاسترفاد من مختلف يناييع المعرفة في عصره، حيث أنه كان يقضي جل وقته في القراءة والاستقراء والتجريب، أي أنه بكلمة واحدة كان مشغولا بإنتاج معرفة جديدة لم يسبقها إليه أحد وفي أكثر من مجال. وقد ألف عشرات الكتب في هذا السياق، ما وصلنا منها، رغم قلته، يمكنه أن يعطينا صورة ناصعة عن إمكانياته وفرادته، فلو مثلا ركزنا فقط على كتابه المعجمي "العين" وهو أول معجم في العربية- لوقفنا أمام قدرة عجيبة تكاد تكون لامحدودة، إلى جانب ذكاء المنهج وتجربيته العالية، حيث بدأ الخليل بأعمق الحروف الحلقية وهو العين فسمى الكتاب بها، ثم تدرج إلى أن وصل إلى حرف الميم الشفاهي وهو آخر الحروف، كما أنه قسم الكلام إلى مهمل ومستعمل، فتخلص عن المهمل وثبت الألفاظ المستعملة، وقد قام من أجل ذلك بجمع (١٢٣٠٥٤ لفظا) إن الخليل يشبه بذلك الجابري نفسه، حفيده المغربي البعيد، زمنيا ومكانيا. فالجابري عرف عنه كثرة القراءة، وسعة الاطلاع، وقد رأته في الطائرة مرة في رحلة طويلة إلى المغرب عبر المملكة الأردنية، وكان جالسا أمامي مباشرة، لم أكلمه لأنني كنت طالبا، ولأنه متكب على كتاب يقرأه طوال وقت الرحلة في الفضاء التي اقتربت من ثمان ساعات على الطيران الملكي الأردني، وكان على الدرجة العادية، أتذكر أنه كان فيها بعض الطلبة من اليمن وفلسطين والسودان، كانوا يدرسون في مختلف الجامعات المغربية. كانت عينا الجابري لا تغادران الكتاب إلا للحظات قليلة، ضروية، أتذكر أن أحدهم طلب منه قلما، فأخرجه له من جيبه وأكمل قراءته. وهو ما ذكرته زوجته التي كانت تطبع له بالآلة الكاتبة معظم كتبه، وذلك في فيلم وثائقي قامت به أخيرا قناة الجزيرة الوثائقية عن الجابري وأهم المحطات في حياته. وحين نعود إلى مقولة ابن المقفع عن الخليل، سنذكر مقولة أخرى رديفة، وهي أن العقل هو الوعاء الوحيد الذي كلما ملأه يتسع، بينما الأوعية الأخرى كلما ملأها تضيق. فلا بد أن ابن المقفع يعني ذلك، أي أن عقل الخليل يتسع أكثر كلما ملأ علما ومعرفة، لذلك فإن عقله سيكون أكبر من علمه كما أكد ابن المقفع. كذلك نستدعي في هذا المقام مقولة للإمام الشافعي يقول فيها: إن العلم إذا أعطيتك كلك أعطاك بعضه، وإذا أعطيتك بعضك لم يعطك شيئا. وكان الفراهيدي والجابري قد أعطيا كل حياتهما للعلم، فلم يعطهما العلم إلا بعضا منه.

فقد كان الخليل زاهدا في الدنيا، مهملًا لمظهره ومنتقشا حتى في مأكله. يكتفي بالخبز الأسود أحيانا، حتى أنه حين أرسل له الوالي رسولا يدعوه لكي يربي أبناءه اعتذر وأخرج له كسرتين من الخبز الحافي، قائلا له طالما أن مثل هذا الزاد متوفر فلن أحتاج لأحد.

كما أن الجابري والفراهيدي - وهذا من المصادفات العجيبة- قد عاشا نفس العمر تقريبا، حين مات الفراهيدي في عمر الثلاثة والسبعين، ومات الجابري في الرابعة والسبعين.

ولكن ما الذي يجعل الجابري يقدر الفراهيدي كل هذا القدر؟

في الحقيقة إن الجابري مدين للفراهيدي كثيرا، وأستطيع أن أجزم على عجالة بأنه لولا الفراهيدي لم يكن الجابري يستطيع أن يكتب رباعيته الضخمة التي ميزته كمفكر كبير، وهي رباعية (نقد العقل العربي) ومن يقرأ هذا المشروع سيرى حضورا عضويا للفراهيدي إلى الدرجة التي يمكن فيها القول، بدون كثير تردد، أنه لا يمكن لهذا الكتاب أن يتقدم خطوة واحدة لولا إنجازات الخليل بن أحمد الفراهيدي.

